مجلــة العلـوم الإنسانيــة والتطبيقيـــــة
Journal of Humanitarian and Applied Sciences
كلية الآداب والعلوم قصر خيار -جامعة المرقب
المجلد العاشر -العدد التاسع عشر -يونيو /2026

التماسك والتلاصق في الفضاء الاجتماعي الليبي:
مقاربة سوسيو–تاريخية لتفسير الأزمة الليبية في إنتاج المعنى الثقافي المشترك

امحمد انويجي غميض
أستاذ / التاريخ
قسم التاريخ / كلية الآداب الخمس
eegomud@elmergib.edu.ly

سعاد علي الرفاعي
أستاذ مشارك / علم الاجتماع
قسم علم الاجتماع / كلية الآداب الخمس
saalrifai@elmergib.edu.ly

تاريخ استقبال البحث: 12 فبراير 2026م **تاريخ قبول البحث: 29 مارس 2026م**

ملخص البحث

تتناول الدراسة الفضاء الاجتماعي الليبي من منظور سوسيو تاريخي ورمزي حيث ينظر للفضاء كنتاج اجتماعي يعكس التاريخ والرموز والعلاقات وليس مجرد حيز مادي، وبذلك تستند الدراسة إلي أفكار هنري لوفيفر التي ترى أن الفضاء هو نتاج اجتماعي يعبر عن أنماط الحياة والتصورات، وبناء علي ذلك تهدف الدراسة إلي فهم الأزمة الليبية من خلال خلل في إنتاج هذا الفضاء مع التركيز علي العلاقة بين التماسك والتلاصق كأدوات تحليلية مستمدة من الفيزياء، وبهذا الشكل تعتبر الأزمة الليبية نتاجاً لتحولات في البنية الرمزية والاجتماعية، مما يؤدي إلي تحديات في بناء معاني مشتركة ووحدة اجتماعية، وهكذا تفهم الأزمة الليبية علي أنها أزمة في إنتاج الفضاء الاجتماعي، وصراع رمزي حول دلالاته وتمثلاته.

الكلمات المفتاحية: الفضاء الاجتماعي، التحليل السوسيولوجي، الفكر الفلسفي الغربي، الفضاء الدلالي.

Cohesion and Proximity in Libyan Social Space:
A Socio-Historical Approach to Interpreting the Libyan Crisis in the Production of Shared Cultural Meaning

Emhemed Enwiji Ghomid
Professor / History
Department of History / Faculty of Arts / Alkhoms
eegomud@elmergib.edu.ly

Suad Ali Elrfaee
Associate Professor / Sociology
Department of Sociology / Faculty of Arts / Alkhoms
saalrifai@elmergib.edu.ly

Abstract:

This study investigates Libyan social space from a socio-historical and symbolic perspective. Space is viewed as a social construct reflecting history, symbols, and relationships, rather than merely a physical area. This study draws on Henri Lefebvre's ideas that space is a social product expressing lifestyles and perceptions. Accordingly, this study aims to understand the Libyan crisis through a disruption in the production

of this space, focusing on the relationship between cohesion and proximity as analytical tools derived from physics. In this way, the Libyan crisis is considered a product of transformations in the symbolic and social structure, leading to challenges in constructing shared meanings and social unity. Thus, the Libyan crisis is understood as a crisis in the production of social space and a symbolic struggle over its meanings and representations.
Keywords: Social space, Sociological analysis, Western philosophical thought, Semantic space

المقدمة:

لم يعد الفضاء في التحليل السوسيولوجي مجرد امتداد جغرافي، أو حيز يمارس فيه النشاط الإنساني، بل أصبح يُنظر إليه نتاجاً اجتماعياً ودلالياً، يتجسد فيه التاريخ والرمز والممارسة والعلاقة بالسلطة، وقد مثل هذا التحول المعرفي أحد أبرز إسهامات (هنري لوفيفر) (1901-1991) الذي فكك البنية التقليدية للفكر الغربي حول المكان، كاشفاً عن أن كل فضاء هو حصيلة إنتاج اجتماعي، يعبر عن أنماط العيش والهيمنة والتصور (Lefebvre,H. 1999) إذ يرى أن الفكر الفلسفي الغربي قد اختزل المكان في بعد مادي جامد حيث جرى التعامل مع الفضاء بوصفه شيئًا ميتاً، ثابتا غير جدلي، وغير متحرك بينما اعتبر الزمن هو البعد الغني والخصب، لذا سعى لوفيفر عبر تحليلاته إلى الانفصال عن التصور التقليدي للفضاء.

(Social) space is not a thing among other things, nor a product among other products: Rather, it subsumes things produced, and encompasses their interrelationships in their coexistence and simultaneity- their (relative) order and/ or (relative) disorder.(Lefebvre, H. 1991)

وبهذا المعنى فإن الفضاء (الاجتماعي) منتج اجتماعي، فهو ليس شيئاً بين أشياء أخرى، ولا منتوجاً بين منتجات أخرى، بل يحتوي الأشياء المنتجة ويضم علاقاتها المتبادلة في تزامنها وتعايشها في نظامها النسبي أو اضطرابها النسبي، وهذا يعني أن الفضاء ليس مجرد إطار، بل هو نسيج من العلاقات المادية والاجتماعية والرمزية.

وفي ضوء هذا التحول، تسعى هذه الدراسة إلى قراءة الأزمة الليبية من منظور جديد، يتجاوز التفسيرات السياسية المباشرة، لينظر إليها كأزمة في إنتاج الفضاء ذاته، أي كخلل في العلاقة بين التماسك والتلاصق داخل النسق الاجتماعي الليبي، وانطلاقاً من مقاربة رمزية مبتكرة تستدعي قوانين الفيزياء حول التماسك والتلاصق لتفسير الظواهر الاجتماعية، بوصفها استعارة علمية قادرة على إضاءة طبيعة العلاقات الاجتماعية الليبية من قوى الجذب والانفصال، الوحدة والانقسام، الثبات والحركة.

أولاً-تحديد مشكلة الدراسة واشكالياتها:

تتمثل مشكلة البحث في محاولة فهم الأزمة الليبية، ليس من منظورها السياسي أو الأمني المباشر، وإنما من منظور سوسيولوجي _ دلالي، يقارب الفضاء بوصفه نتاجاً اجتماعياً ورمزياً تتجسد فيه العلاقات والمعاني التي ينظم بموجبها الأفراد والجماعات وجودهم المشترك، فالأزمة الليبية في جوهرها لا تختزل في صراع على السلطة، أو في الانقسام المؤسساتي، بل تعبر عن اختلال في إنتاج الفضاء الاجتماعي والدلالي، أي في قدرة المجتمع الليبي على بناء معانٍ ورموز جامعة تؤطر العيش المشترك وتوازن العلاقة بين التماسك والتلاصق الاجتماعي.

لعل التحولات التاريخية والاجتماعية التي شهدتها ليبيا بعد (2011م) أدت إلى تفكيك البنى الرمزية والعلائقية التي كانت تؤسس لوحدة المجال الاجتماعي، لتبرز للسطح بدائل هشة قائمة على التلاصق المؤقت بين الأفراد والجماعات، بدلاً من التماسك البنيوي القائم على المعنى المشترك، والانتماء الجمعي، لتصبح الأزمة الليبية كما تطرحها هذه الدراسة، أزمة في الفضاء ذاته، أي أزمة في الطريقة التي يُعاد بها إنتاج المجال الاجتماعي والسياسي والرمزي، وفي الصراع القائم حول دلالاته، وتمثلاته بين من يسعى إلى السيطرة عليه، ومن يحاول إعادة تعريفه كفضاء مشترك للعيش الجماعي، وعليه تنطلق الدراسة من التساؤل المركزي: كيف يمكن فهم الأزمة الليبية بوصفها تعبيراً عن خلل في إنتاج الفضاء الاجتماعي والدلالي؟، وكيف تتجسد فيها ثنائية التلاصق والتماسك الاجتماعي كآليتين متعارضتين ومتكاملتين في آن لتنظيم المجال الاجتماعي الليبي؟ ومن هذا السؤال المركزي تتفرع عنه التساؤلات الاشكالية:

1- ما طبيعة العلاقة بين إنتاج الفضاء والمعنى في السياق الليبي؟ وكيف تعكس هذه العلاقة البنى الاجتماعية والثقافية العميقة؟

2- كيف تتحول مفاهيم التماسك والتلاصق الفيزيائية إلى أدوات تحليل لفهم ديناميات التفاعل الاجتماعي والرمزي داخل الفضاء الليبي؟

3- ما الأبعاد التأويلية التي يمكن من خلالها قراءة تحولات الفضاء من مجال موحد قسرياً إلى فضاءات متجاورة ومتصارعة دلالياً؟

4- كيف تسهم التمثلات الثقافية والتاريخية في إعادة تشكيل دلالة الفضاء داخل التجربة الليبية المعاصرة؟

ثانيا–فروض الدراسة:

تنطلق الدراسة من عدد من الفروض التحليلية التأويلية من أبرزها:

1- إن الأزمة الليبية تمثل في جوهرها أزمة رمزية في إنتاج الفضاء والمعنى، أكثر من كونها أزمة سياسية أو اقتصادية.

2- إن ثنائية التلاصق والتماسك الفيزيائية تمثل مفتاحاً معرفياً ابستيمولوجياً لتأويل طبيعة العلاقات الاجتماعية في ليبيا، بما يعكس انتقال المجتمع من تماسك قسري إلى تلاصق ظرفي.

3- إن الفضاء الليبي ليس معطى مادياً فحسب، بل بنية دلالية متغيرة، تتأثر بتمثلات الجماعات، والموروث الرمزي والثقافي.

4- إن تجاوز الأزمة الليبية يقتضي إعادة إنتاج الفضاء كمعنى مشترك، أي استعادة القدرة الجماعية الكامنة على بناء رموز وممارسات تضمن الحد الأدنى من الانسجام الاجتماعي.

ثالثا–طبيعة المنهج ووحدة التحليل:

1) طبيعة المنهج:

تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي التأويلي (الهرمينوطيقي) بوصفه أحد المناهج النوعية التي لا تكتفي بوصف الظواهر الاجتماعية أو قياسها كمياً، بل تسعى إلى تفكيك بنياتها الدلالية، والكشف عن المعاني الكامنة التي تتشكل داخلها تاريخيا وثقافيا، وينطلق هذا الاختيار من تصور منهجي يرى أن الظواهر الاجتماعية ولا سيما في سياقات الأزمات، لا تُفهم إلا من خلال مساءلة النصوص والخطابات والممارسات بوصفها أنساقاً دلالية مركبة (غميض، 2025).

وفي هذا الإطار تتبنى الدراسة منظوراً سوسيو– تاريخياً تأويلياً، ينظر الى المنهجية بوصفها عملية تحليلية تركيبية قائمة على تفكيك النصوص وتحليل مكوناتها الداخلية ضمن دوائر السياق والنص والمعنى، بما يحول البحث من مجرد تجميع للوقائع وتصنيفها الى فعل قراءة نقدية متعددة الطبقات (غميض، 2025)، كما تستند الدراسة إلى تصور تأويلي سيميائي يرى أن الوقائع التاريخية والاجتماعية، لا تُقرأ بوصفها وثائق منتهية أو بقايا ماضية، بل باعتبارها منصات دلالية قابلة لإعادة التفعيل والتأويل في ضوء إشكاليات الحاضر، وعليه، فإن استدعاء الأحداث التاريخية المرتبطة بالتجربة الليبية في سياق تاريخي، ما يتم بوصفه ممارسة نقدية تسعى إلى تفكيك أليات إنتاج المعنى التي تسهم في تطبيع الأزمات أو إعادة انتاج التسلط أو إضفاء طابع الحتمية على العنف والانقسام (غميض، 2025).

ومن هذا المنطلق تدمج الدراسة بين المنهج التأويل والتحليل السوسيولوجيا، مستلمة إنتاج الفضاء عند هنري لوفيفر، من أجل مقاربة الأزمة الليبية بوصفها أزمة في إنتاج الفضاء الاجتماعي، وفي تشكل المعنى الثقافي المشترك، لا باعتبارها أزمة سياسية أو مؤسسية فحسب.

2) وحدة التحليل:

تتمثل وحدة التحليل في هذه الدراسة في الفضاء الاجتماعي الليبي بوصفه نسقا دلاليا–اجتماعيا متغيراً، يجسد البنية الرمزية للمجتمع الليبي في تحولاته التاريخية والثقافية، ولا يقصد بالفضاء هنا المعنى الجغرافي أو المكاني الضيق، وانما الفضاء بالمعنى السوسيولوجي الذي صاغه هنري لوفيفر، أي المجال الذي تتفاعل داخله العلاقات الاجتماعية، والتمثلات الرمزية وأنماط العيش المشترك بما ينتج أشكال الهوية والانتماء والمعنى (Lefebvre, H. 1991).

وانطلاقا من هذا التصور يقارب الفضاء الليبي بوصفه نصاً اجتماعياً قابلاً للتأويل، تتجلى في بنيته ديناميات التوتر بين الوحدة الرمزية والتشظي الدلالي، فالفضاء لا يعطى بوصفه بنية ثابتة، بل ينتج باستمرار من خلال تفاعل الفاعلين الاجتماعيين، والمؤسسات والسلطات والذاكرة الجماعية ضمن سياقات تاريخية متغيرة.

وتعتمد الدراسة في تحليل هذا الفضاء على ثلاثية لوفيفر المفاهيمية: الفضاء المعاش كما يختبره الأفراد في حياتهم اليومية، والفضاء المتصور كما تخطط له السلطات والمؤسسات والفضاء، الممثل بوصفه حاملاً للمعاني والرموز الثقافية (Lefebvre, H. 1991)، ويتيح هذا الإطار تحليل اليات التضاد والتكامل بين هذه المستويات وفهم كيفية تشكل الازمة داخل الفضاء الاجتماعي الليبي.

كما توظف الدراسة على نحو اجرائي تحليلي مفهومي التماسك والتلاصق المستعارين من المجال الفيزيائي، بوصفهما أدوات اصطلاحية لتحليل ديناميات الفضاء الاجتماعي، فالتلاصق الاجتماعي يشير إلى درجة الترابط المباشر والتجاور بين الفاعلين أو الفضاءات الاجتماعية، في حين يحيل التماسك الاجتماعي إلى قدرة النسق الاجتماعي على الحفاظ على وحدة العلاقات الرمزية والمادية بين هذه الفضاءات، ويسمح هذا التوظيف المفاهيمي بتوسيع أفق التحليل السوسيولوجي، وقراءة الأزمة الليبية بوصفها تحولا في مستويات الترابط، والمعنى داخل الفضاء الاجتماعي، لا مجرد أزمة سياسية أو مؤسسية.

رابعا–أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى بناء فهم سوسيولوجي للأزمة الليبية من خلال تحليل البنية الرمزية للفضاء الذي تنعكس فيه هذه الأزمة، فالهدف من هذه الدراسة ليس تفسير الظاهرة تفسيراً سببياً، بل إعادة تأويلها في ضوء إنتاج المعنى والرمز

والفضاء، بما يكشف كيف يتجلى في الأزمة الليبية مأزق المعاصرة بين الوحدة والانقسام (غميض، 2025)، وبين التماسك والتلاصق، وبين الفضاء كأداة للهيمنة والفضاء كمجال للعيش المشترك.

فالفضاء انما هو منتج اجتماعي وأداة للتفكير والفعل، فهو إلى جانب كونه وسيلة للإنتاج، يعد أيضا وسيلة للضبط، ومن ثم أداة للهيمنة والسلطة، وهو ما عبر عنه لوفيفر بقوله:

Space is a (social) product. […] the space thus produced also serves as a tool of thought and of action, that in addition to being of production it was also a means of control, and hence of domination of power (Lefebvre, H. 1991)

يؤكد لوفيفر أن الفضاء لا يُفهم بوصفه فراغاً محايداً، بل كنتاج للعلاقات الاجتماعية، ولأنماط السيطرة الرمزية والمادية في المجتمع، إنه ينتج ويعاد إنتاجه من خلال الممارسات اليومية والمؤسسات.

خامسا–الإطار المفاهيمي ونظرية إنتاج الفضاء عند هنري لوفيفر:

يعد هنري لوفيفر (1901 – 1991م) واحداً من أبرز المفكرين الفرنسيين في القرن العشرين، الذي امتد تأثيرهم إلى مجالات الفلسفة وعلم الاجتماع والجغرافيا النقدية، ولد في جبال البرانس مع مطلع القرن العشرين الميلادي، وهي ولادة رمزية تشئ بمسيرة فكرية حافلة امتدت لما يقارب قرناً كاملاً من التفاعل مع تحولات العصر ومعاركه السياسية والفكرية والاجتماعية.

خاض لوفيفر نضالاته الأولى داخل الإطار الماركسي، غير أنه سرعان ما تجاوز القراءة الأيديولوجية المغلقة لماركس ليقدم قراءة نقدية خلاقة سعت إلى فهم آليات السلطة، وهيمنة رأس المال في الحياة اليومية، وفي إنتاج الفضاء بعد صعود النظام الرأسمالي، خلال مسيرته الفكرية الطويلة، ألف ما يقارب 60 كتاباً، وأكثر من 158 مقالاً، خصص معظمها لتحليل الأيديولوجيات الكبرى في القرن العشرين من الماركسية إلى النيوليبرالية، وعلى الرغم من إبعاده عن الحزب الشيوعي الفرنسي بعد أكثر من ثلاثة عقود من الانخراط فيه ظل فكره يحتفظ ببراهنيته وقوته النقدية، بفضل استقلاله عن الأطر الحزبية، وتحوله إلى مشروع فكري يتجاوز الصراع الايديولوجي التقليدي (سرير وآخرون، 2019)، انطلقت مساهماته السوسيولوجية الأولى من دراسته للمجتمعات الريفية في فرنسا حيث لاحظ التحولات العميقة التي أحدثها تصنيع الفلاحة، ودخول رؤوس الأموال في الحياة الريفية، وقد رأى في هذه التحولات إعادة إنتاج الفضاء لا مجرد تغيير في شكله المادي مما قاده إلى بلورة نظرية أصيلة حول إنتاج الفضاء، أصبحت لاحقاً حجر الأساس في مشروعه الفكري، من هذا المنطلق نظر لوفيفر إلى الفضاء بوصفه نتاجاً اجتماعياً ودلالياً، تتقاطع فيه البنى السياسية والاقتصادية والثقافية، وتمارس داخله الحياة الإنسانية اليومية في الريف كما في المدينة، وبهذا المعنى أسس رؤية جديدة للفضاء كحقل من الصراعات الرمزية والمادية ومكان لتجسيد العلاقات الاجتماعية في بعديها الحسي والمعيشي.

يعد مفهوم الفضاء (Espace) من أكثر المفاهيم تركيباً في الفكر السوسيولوجي المعاصر، إذ تجاوز مع هنري لوفيفر الفهم الكلاسيكي الذي يحصره في البعد الفيزيقي أو الهندسي، فمنذ كتابه (إنتاج الفضاء) الصادر عام (1974م)، أعاد لوفيفر صياغة المفهوم من جديد مقدماً إياه كنتاج اجتماعي يتشكل من خلال علاقات متعددة تجمع بين الممارسة اليومية والبنى المادية والتمثلات الذهنية والرمزية.

الفضاء (الاجتماعي) ليس شيئاً بين أشياء أخرى، ولا منتوجاً بين منتوجات أخرى، بل هو الذي يحتوي الأشياء المنتجة، ويشمل علاقاتها المتبادلة في تزامنها وتعايشها _ في نظامها النسبي أو اضطرابها النسبي، أي أن الفضاء ليس مجرد

حاوية للأشياء، بل هو البنية التي تنتظم فيها العلاقات بين الأشياء والفاعلين والممارسات الاجتماعية في الزمن والمكان معاً.

(Social) space is not a thing among other things, nor a product among other products: Rather, it subsumes things produced, and encompasses their interrelationships in their coexistence and simultaneity- their (relative) order and/ or (relative) disorder. (Lefebvre, H. 1991).

فالفضاء في هذا المستوى من التعريف هو بالضرورة علاقة أو علاقات اجتماعية، (العرباوي، 2017. ص 126)، وهي علاقات غير محايدة، وإنما مبنية على التراتب والمصالح الأمر الذي يساهم في اغتراب الإنسان في المجتمع الرأسمالي، وذلك من خلال الدالين الاجتماعيين لدى النشأ (Frémont,1976).

لم يعد الفضاء عنده مجرد خلفية محايدة تقع فيها الأحداث التاريخية والاجتماعية، بل أصبح عنصراً فاعلاً في تكوين المجتمع ذاته، فهو ليس وعاء يحتوي الوقائع والظواهر، بل هو منتج للظواهر الاجتماعية ووسيط في الوقت ذاته لإعادة إنتاجها، من هنا يتحدث لوفيفر عن جدلية المكان والمجتمع، فالمجتمع ينتج الفضاء والفضاء بدوره يعيد إنتاج المجتمع، وبهذا يكون لكل مجتمع فضاءه الخاص.

(Every society produces a space, its own space (Lefebvre, H. 1991)

كما أن الفضاء لا يفهم بوصفه فراغاً محايداً، بل كنتاج للعلاقات الاجتماعية ولأنماط السيطرة الرمزية والمادية في المجتمع، إنه ينتج ويعاد إنتاجه من خلال الممارسات اليومية والمؤسسات.

Space is a (social) product. […] the space thus produced also serves as a tool of thought and of action, that in addition to being of production it was also a means of control, and hence of domination of power، (Lefebvre, H. 1991).

فالفضاء بهذا المعنى هو منتج منظم للمعاني، ومجال يمارس فيه الصراع على الرموز، وعلى إعادة تعريف الواقع الاجتماعي، وبذلك يصبح الفضاء بنية ثلاثية الأبعاد تتمثل في:

1. **بعد مادي**: يتمثل في التشكيلات الملموسة للمكان (العمران، البنية التحتية، التوزيع الجغرافي).
2. **بعد اجتماعي –عملي**: يتجسد في الممارسات اليومية التي يقوم بها الأفراد، والجماعات داخل المكان (السكن، العمل، التنقل، التواصل).
3. **بعد رمزي –دلالي**: يتمثل في المعاني والتمثيلات التي تسقطها الجماعات على المكان (رموزه، الهوية، الانتماء، الذاكرة، المقدس، الخ).

وبناء على ذلك، فإن الفضاء الخاص بالممارسة الاجتماعية هو موضوع إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية، بما في ذلك علاقات الإنتاج وإعادة الإنتاج، إنه في آن واحد فضاء مادي (يتكون من الأشياء الطبيعية أو المصنوعة)، واجتماعي (يتكون من العلاقات بين الأفراد والجماعات)، ورمزي (يتكون من المعاني والتمثلات) (بوطاهرى، 2020).

الفضاء إذا هو نتاج ووسيط لإعادة إنتاج المجتمع ذاته، واجتماع تلك الأبعاد هو ما يجعل الفضاء نظاماً دلالياً حيًا، يتغير بتغير الفاعلين وموازين القوة والمعرفة، وقد قدم لوفيفر تحليلاً للعلاقة الجدلية بين هذه الأبعاد من خلال ما يعرف بـ (المثلث المفاهيمي للفضاء)، أو (الفضاء الاجتماعي)، وهذا المثلث المفاهيمي يتكون من ثلاث مستويات مترابطة:

1- الممارسة المكانية (Spatial practice):

تمثل البعد اليومي للفضاء، أي شبكة الأفعال والتفاعلات التي تنظم الحياة اليومية داخل المكان، وتشمل الحركة والعيش والاستهلاك واستخدام الشوارع والساحات العامة، وهذه الممارسات هي التي تجعل الفضاء يُعاش ويُستخدم، وهي ما يعطيه طابعاً ملموساً وحيوياً، وتضمن الممارسة المكانية الاستمرارية ودرجة معينة من التماسك، وفي سياق الفضاء الاجتماعي، وعلاقة كل فرد بفضاء المجتمع الذي ينتمي إليه، فإن هذا التماسك يفترض مستوى مضموناً من الكفاءة ومستوى محدداً من الأداء.

Spatial practice ensures continuity and some degree of cohesion In terms of social space and of each member of a given society's relationship to that space, this cohesion implies a guaranteed level of competence and a specific level of performance.(Lefebvre, H.1991)

يعتبر هذا البعد هو الفضاء المدرك، أي الفضاء الذي نعيشه فعلياً بالحواس والممارسات اليومية، فالممارسة المكانية هي البعد العملي اليومي للفضاء، أي الطرق التي يُنظم بها الناس تحركاتهم وأنشطتهم وتفاعلهم مع المكان، إنها تجسيد مادي لأنماط العيش والتفاعل الاجتماعي.

2- تمثلات الفضاء (Representations of space):

هو الفضاء المفهومي، فضاء العلماء والمخططين والعمرانيين والتقنيين والمهندسين الاجتماعيين، وكذلك بعض الفنانين ذوي الميل العلمي جميعهم يربطون بين ما يعاش وبين ما يُدرك وبين ما يُتصور.

Representations of space: conceptualized space, the space of scientists, planners, urbanists, technocratic subdivides and social engineers, as of a certain type of an artist with a scientific bent all of whom identify what is lived and what is perceived with is conceived، (Lefebvre, H. 1991)

يمثل هذا البعد الفضاء المتصور أي الفضاء كما يُفكر فيه ويُنظم ويُخطط له على مستوى السلطة والمعرفة، (مثل التخطيط العمراني أو الهندسة الاجتماعية)، إنه الفضاء الذي تعبر عنه الخرائط والمخططات والخطابات الرسمية، أي الخطاب المؤدلج الذي تعيد من خلاله السلطة إنتاج رؤيتها للعالم.

3- الفضاءات الممثلة (Representational spaces):

وهي الفضاءات التي (تُعاش وتُتخيل) من قبل الأفراد حيث تتداخل فيها الرموز والخيال والعاطفة، وهذا البعد يمثل الفضاء الرمزي الذي يحمل ذاكرة الجماعة وتمثيلاتها، ويعبر عن الصراعات الخفية بين السلطة والمعنى، الفضاءات الممثلة: هي الفضاء كما يُعاش مباشرة من خلال الصور والرموز المرتبطة به، ومن ثم فهو فضاء «الساكنين» و«المستخدمين» وكذلك بعض الفنانين وربما الكتاب والفلاسفة الذين يصفون هذا العيش ولا يطمحون إلى أكثر من الوصف.

Representational spaces: space as directly lived through its associated images and symbols, and hence the space of "inhabitants" and users, but also of some artists and perhaps of those, such as a few writers and philosophers, who describe and aspire to do no more than describe. (Lefebvre, H. 1991)

يمثل هذا البعد الفضاء المعاش (ired space) أي الفضاء الذي يختبر بالرموز والخيال والذاكرة والمشاعر، هو المجال الذي تتقاطع فيه التجربة الذاتية مع الدلالة الثقافية، ويعد الأكثر خصوبة لتحليل المعاني اليومية والرمزية للفضاء.
ووفق هذا المثلث فإن كل فضاء واقعي، هو نتاج تفاعل هذه الأبعاد الثلاثية: ما يُمارس وما يُتصور وما يُتخيل، وبذلك يصبح الفضاء نتاج جدلي متعدد، وليس فقط وجود مادي تتحكم فيه علاقات القوة والمعرفة والدلالة، من هنا يؤكد بأن الفضاء ليس محايداً، بل هو حقل للصراع الرمزي والسياسي، لأن كل سلطة أو فاعل اجتماعي (قبيلة، محلة، اقليم، جهة)، يسعى إلى السيطرة على الفضاء من خلال إعادة إنتاج رموزه وتنظيمه، فالفضاء عنده يُنتج ويحتل وتعاد تعريفه باستمرار لهذا السبب، فإن كل تغيير سياسي أو ثقافي في المجتمع يرافقه دوما تحول في بنية الفضاء، سواء في شكل المدينة أو في معانيها، ومن هنا يصبح تحليل الفضاء أداة منهجية لفهم طبيعة السلطة في المجتمع، لأن السلطة لا تمارس فقط من خلال القانون أو الخطاب، بل من خلال المكان، وتوزيع الجسد داخله.

لوفيفر من جهة أخرى بين الفضاء والزمن والرمز (سرير وآخرون، 2019)، فهو يرى أن كل فضاء يتضمن زمنه الخاص، أي أن المكان ليس جامدًا وإنما يحمل طبقات من التاريخ والذاكرة، فالفضاء الاجتماعي هو نتاج أفعال ماضية ووسيط للأفعال المقبلة، وبالتالي يصبح الفضاء ذاكرة حية أو ما يسميه الزمن المتجسد في المكان.
في هذا الإطار، يمكن النظر إلى المدن القديمة أو الأحياء الشعبية أو الساحات العامة باعتبارها نصوصاً زمنية تختزن في عمرانها المعاني التاريخية والاجتماعية للعيش المشترك، وهذا ما يجعل قراءة الفضاء ممكنة عبر تحليل علاماته ورموزه، أي عبر مقاربة تأويلية للفضاء، تكشف عن العلاقة بين العلامة والممارسة والمعنى.

إذاً، يمكن القول بأن نظرية الفضاء عند لوفيفر تمثل منعطفاً معرفياً في علم الاجتماع المعاصر، لأنها أعادت تعريف العلاقة بين المكان والمجتمع من علاقة ثابتة إلى علاقة إنتاج متبادل بين المادة والمعنى وبين السلطة والرمز.

سادسا–الإطار التحليلي –التأويلي:

التماسك والتلاصق في الفضاء الاجتماعي الليبي:

تركز الدراسة في هذا الإطار على مقاربة تأويلية تسعى إلى تفكيك البنية الدلالية والجدلية للفضاء الاجتماعي الليبي من خلال توظيف قانوني التماسك والتلاصق المستمدين من الفيزياء، بوصفهما أداتان معرفيتان تساعدان على فهم العلاقات الاجتماعية والرمزية التي تنتج الفضاء وتشكل معناه، فكما يوضح هنري لوفيفر في نظريته حول إنتاج الفضاء، حيث لا يختزل الفضاء في بعده المادي أو الجغرافي، بل هو نتاج اجتماعي وثقافي يتجسد عبر التمثلات والممارسات اليومية، ويعاد إنتاجه باستمرار من خلال تفاعل الذاكرة والخطاب والرمز.

1- التماسك كقوة انغلاق اجتماعي في البنية الليبية:

في البنية الليبية يظهر التماسك كقوة داخلية متوارثة تعبر عن تضامن الجماعة الواحدة داخل الفضاء القبلي أو المحلي، هذا التماسك منح المجتمع الليبي قدرة عالية على الصمود في وجه التحولات – الخارجية – كما تجلى بوضوح خلال حقبة مقاومة الاستعمار الإيطالي (1911 – 1943)، حين شكل الانتماء القبلي والعائلي ركيزة للتماسك والتعبئة والصمود خصوصاً في برقة وطرابلس وفزان، غير أن هذه القوة التي أدت وظيفة الحماية والبقاء في سياق تاريخي معين، تحولت تدريجياً إلى آلية انغلاق اجتماعي، حين أصبحت القبيلة إطاراً مغلقاً يحكم الانتماء، ويحد من إمكانات التواصل الأفقي بين المكونات الاجتماعية المختلفة.

وقد أسهم الاستعمار الإيطالي نفسه في ترسيخ هذا الانغلاق، إذ عمد خلال فترة الاعتقالات الجماعية إلى عزل القبائل داخل معتقلات منفصلة، بحيث تعيش كل جماعة في فضاء مغلق بعيداً عن القبائل الأخرى، هذه الممارسة الاستعمارية لم تكن مجرد إجراء أمني، بل كانت آلية لإعادة إنتاج العزلة والانفصال في الوجدان الاجتماعي الليبي، بما عزز منطق الانتماء المغلق وأضعف إمكانات التفاعل بين المكونات المختلفة.

ويتعمق هذا الانغلاق في الممارسات الاجتماعية التي كرستها البنية القبيلة، كما توضحه الرفاعي في دراستها (التنظيم الاجتماعي القبلي والانتاج الأدبي للمرأة البدوية: دراسة انثروسوسيولوجية للأهازيج الليبية)، إذ تشير إلى أن القبائل الليبية غالباً ما تفتخر بأصولها ومكانتها مقارنة بقبائل أخرى، إلى حد الامتناع عن التزاوج معها، معتبرة الأصالة والانحدار من نسب قبلي رفيع شأناً حاسماً في تحديد الهوية والمكانة الاجتماعية، وحتى المرأة وإن تزوجت خارج قبيلتها، تظل في التمثلات السائدة منتمية إلى أصلها الأول، وتوظف ضمن منطق العصبية القبلية كأداة للحفاظ على نقاء الانتماء القبلي أو لتقوية التحالفات الداخلية عبر المصاهرة، (الرفاعي، 2016).

هذا النمط من التماسك القبلي، الذي كان في الأصل أداة للحماية والاستمرار، تحول مع مرور الزمن إلى قوة انغلاق تنتج فضاءً اجتماعياً مغلقاً، يعيد إنتاج الحدود الرمزية بين المكونات، بدل تجاوزها مما حد من إمكانية بناء معنى اجتماعي مشترك يتجاوز الانتماءات الأولية نحو فضاء وطني أو مدني أوسع.

أما في مرحلة ما بعد الاستقلال، فقد استمر هذا النمط من التماسك القبلي في التأثير على تشكيل الدولة، حيث وظفت الروابط التقليدية في توزيع المناصب والولاءات (الرفاعي، 2007)، فقد حافظ هذا النمط من التماسك على البنى القديمة لكنه عطل إمكان التلاصق الوطني الذي يفترض بناء روابط تتجاوز الانتماء المحلي نحو هوية سياسية جامعة، فهنا يمكن القول من منظور تأويلي إن التماسك تحول من طاقة للحماية إلى آلية لإعادة إنتاج الفضاء المغلق.

2- التلاصق كقوة كامنة لم تتحقق تاريخياً:

في المقابل يُعبر التلاصق عن القوة التي تجمع بين عناصر مختلفة لتكوين فضاء اجتماعي جديد تماماً كما تتلاصق الجزئيات المتنوعة لتكون مادة متجانسة، في التجربة الليبية لم تتح لهذه القوة أن تتطور تاريخيًا إذ إن مراحل بناء الدولة الحديثة لم توفر شروط الاندماج الثقافي والاجتماعي الحقيقي، ففي السبعينيات القرن العشرين ومع سياسات المركزية الشديدة، وتراجع الأطر المدنية الحديثة، تم إضعاف قوى التلاصق لصالح بنى تماسك مغلقة، تتخذ أشكالاً جهوية أو قبلية أو حتى بيروقراطية، ولم يتح للمجتمع الليبي أن يُعيد تعريف ذاته ضمن فضاء وطني مشترك، يعترف بالاختلاف بوصفه شرطاً للوحدة، فقد تكرر هذا النمط في مراحل لاحقة، إذ ظل التلاصق بمعناه الرمزي والاجتماعي هشاً أمام قوة التماسك المتجذرة، مما جعل الفضاء الليبي، فضاء متشظياً تتجاور فيه المكونات دون أن تتفاعل فعلياً، وهو ما يفسر كيف أن مدناً مثل بنغازي وطرابلس وسبها احتفظت كل منها بفضائها الرمزي الخاص، وبنظامها القيمي شبه المستقل، مما جعل إنتاج الفضاء الوطني عملية معقدة لم تكتمل.

3- الحركة الصوفية بوصفها لحظة تاريخية لإنتاج معنى جامع:

غير أن هذا المسار لا يعني غياباً مطلقاً لإمكان الاندماج في التاريخ الليبي، فقد كشفت دراسة غميض حول (الحركة الصوفية في أفق لبدة خلال القرن العاشر الهجري)، أن الزوايا والطرق الصوفية في سياق تاريخي معين مثلت لحظة تاريخية مغايرة، حيث استطاعت أن تؤسس نمطاً من التماسك والتلاصق الرمزي خارج منطق الدولة، ففي سياق مجتمع فسيفسائي ظل لعقود طويلة خارج إطار الدولة المركزي ، نجحت الحركة الصوفية في إنتاج فضاء اجتماعي جامع، ارتكز

على وحدة المرجعية العقدية للإسلام على المذهب المالكي، وعلى الانتماء الاجتماعي الشريف بوصفه رأسمالاً رمزياً عابراً للقبيلة والمجال.

وبهذا المعنى، لم يكن التماسك الذي أنتجته الحركة الصوفية تماسكاً سياسياً أو مؤسساتياً، بل تماسكاً دلالياً ورمزياً، استطاع –ولو مرحلياً– تحويل التلاصق المحلي إلى اندماج اجتماعي أوسع، منتجاً معنى مشتركاً خارج إطار الدولة، ووفق المقاربة اللوفيفرية، يمكن النظر إلى هذه المرحلة باعتبارها لحظة تاريخية لإنتاج فضاء معيش مشترك، تولد من الممارسة الدينية وشبكة العلاقات المركزية التي نسجتها الزوايا الصوفية، بما يدل على أن أزمة الفضاء الليبي الراهنة ليست حتمية بنيوية، بل نتيجة تفكك أنماط تاريخية كانت قادرة على انتاج المعنى الجامع. (غميض، 2011).

غير أن لحظة الحركة الصوفية، بوصفها نمطاً رمزياً خاصاً لإنتاج التماسك والتلاصق، لا تمثل الاستثناء الوحيد في التاريخ الليبي، ولا يمكن قراءتها بمعزل عن أنماط أسبق للعيش المشترك. تشكلت خارج الإطار الديني والمؤسسي، فقبل تشكل الزوايا الصوفية بوصفها شبكات رمزية عابرة للمجال والقبيلة، عرف الفضاء الاجتماعي الليبي أنماطاً من الاندماج المعاش اليومي بين مكوناته المختلفة، حيث لم يكن التعايش نتيجة سلطة جامعة أو خطاب ديني منظم، بل نتاجاً مباشرًا للممارسة الاجتماعية داخل الفضاء ذاته، وتذكر في هذا السياق على سبيل المثال ما أورده النفاتي في كتابه: (المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب) حول نص ليون الأفريقي (الوزان الفاسي) في وصف أفريقيا: "امتزج الشعبين المختلفين في شعب واحد" (النفاتي، 2015، ص47)، حيث يبرز توصيف الموقع امتزاج العرب والبربر في ليبيا بوصفة اندماجاً معاشاً، لم يقم على مجرد التقارب المكاني، بل على – إنتاج فعلي لفضاء العيش المشترك من خلال الممارسة اليومية للسكن والمصاهرة والتبادل والتنقل داخل المجال ذاته، ويكتسب هذا التوصيف أهمية تأويلية خاصة في ضوء تصور هنرى لوفيفر للفضاء بوصفه نتاجاً اجتماعيًا، إذ يدل هذا الامتزاج على قدرة المجتمع الليبي تاريخياً على تحويل التلاصق المكاني إلى قرب اجتماعي فعال، وعلى إنتاج معنى مشترك يتجاوز الانتماءات الاثنية الأولية، ولا يُفهم هذا الامتزاج بوصفه معطى ثابتاً أو نموذجا ماضويا مكتملاً، بل باعتباره عملية تاريخية دينامية أعادت الممارسة الاجتماعية من خلالها إنتاج الفضاء المشترك، ومن ثم فإن استدعاء توصيف الحسن الوزان الفاسي، لا يهدف إلى تمجيد الماضي بقدر ما يكشف أن أزمة الفضاء الاجتماعي الليبي المعاصرة هي أزمة في آليات إعادة إنتاج العيش المشترك، لا في بنيته التاريخية، إذ ظل التلاصق المكاني قائماً بينما تراجعت قدرة الممارسة الاجتماعية على توليد القرب الاجتماعي والمعنى الجامع.

4- الفضاء الليبي كنسق دلالي متوتر:

انطلاقا من هذا التحليل يمكن القول بأن الفضاء الليبي يعيش حالة من الشد بين قوى التماسك والتلاصق، فكلما اشتد التماسك المحلى ضعف التلاصق الوطني، والعكس صحيح، هذه العلاقة الجدلية لا تعبر عن خلل سياسي أو مؤسساتي فحسب وإنما تكشف عن أزمة أعمق في إنتاج المعنى داخل الفضاء الاجتماعي، فالتاريخ الليبي الحديث من المقاومة الى الدولة الحديثة إلى زمن التحولات المعاصرة، يظهر أن المجتمع لم يتمكن بعد من تحويل طاقة التماسك إلى طاقة اندماج وتكامل، منتجة للمعنى الثقافي المشترك، فالفضاء الليبي في ضوء المقاربة اللوفيفرية، لم ينتج بعد فضاءً معيشيًا مشتركاً، بل ظل منفصلاً ومجزأ يُعاد إنتاجه عبر اللغة والذاكرة والعلاقات الرمزية المتوترة، وقد تميزت المرحلة السابقة لعام 2011 بوجود فضاء اجتماعي وسياسي يتمحور حول وحدة رمزية فوقية فرضتها الدولة الحديثة التي سعت الى توحيد المجال الوطني مادياً ورمزياً عبر مؤسساتها وخطابها الأيديولوجي، إلا أن هذا التماسك كان تماسكاً قسريًا أكثر منة عضوياً، إذ تأسس على التجانس المفروض لا على التفاعل الحر للمعاني داخل المجتمع، وفي هذا الإطار يلفت أبو صوة في كتابه

(جدلية المجال والهوية : مدخل لتاريخ ليبيا العام) (بوصوة، 2012) إلى أن تشكل المجال الوطني في ليبيا لم يكن مجرد مسار إداري أو جغرافي، بل هو عملية تاريخية دلالية ارتبطت بإعادة إنتاج رموز السلطة، ومعانى الانتماء داخل فضاء اجتماعي متحول، فالمجال بحسبه لم يتكون بوصفه وحدة متجانسة بقدر ما تشكل من خلال جدلية بين المحلى و الوطني، وبين الرمزي و المادي، وهى الجدلية التي طبعت مسار الهوية الليبية منذ نشأة الدولة الحديثة.

فقد جرى دمج الفضاءات المحلية (القبيلة، المدينة، الجوار، الاقليم) ضمن خطاب وطني واحد دون أن يسمح لها بإنتاج معانيها الخاصة أو تمثيل فضائها الاجتماعي بطريقة مستقلة، أي أن الفضاء الليبي قبل (2011) كان مؤسس للتماسك الرمزي القائم على مركزية السلطة في إنتاج المعنى ،وقد مكن هذا النمط من التماسك من حفظ وحدة الشكل، لكنه أخفى تحت سطحه تعددًا كامناً في المعاني والفضاءات التي ظهرت للسطح مع انهيار البنية المركزية للدولة بعد (2011)، حيث انكشفت تلك البنى الرمزية والاجتماعية التي كانت مستترة خلف وحدة الشكل، الأمر الذي حول الفضاء الليبي من مجال موحد رمزيًا، إلى فسيفساء من الفضاءات الجزئية المتلاصقة، لا يجمعها سوى الضرورة أو الخوف أو المصلحة المؤقتة، وبذلك أعيد إنتاج الفضاء بطريقة مجزأة ومتنافرة دلالياً، حيث استعاد كل فاعل اجتماعي (قبيلة، مدينة، جهة، جماعة محلية) رموزه الخاصة ومعانيه الخاصة بالمكان والانتماء، وهذا التحول من التماسك إلى التلاصق يعكس بوضوح أزمة المعنى الجماعي، وليس فقط هو مجرد انقسام سياسي، فالفضاء الذى كان يؤخذ بالرمز والهوية، صار يستعاد محلياً بوصفه وسيلة للتمايز بدلاً من كونه إطار مشترك، وبهذا المعنى يمكن ملاحظة غياب مظاهر التلاصق الاجتماعي في:

1-تحلل السلطة الرمزية المركزية وبروز سلطات رمزية متنافسة.

2-تفتت المجال العام إلى فضاءات مغلقة على نفسها وانكماش المعنى الوطني أمام تصاعد المعاني المحلية أو الجهوية.

3-تحول الفضاء من فضاء إنتاج إلى فضاء دفاع أي من مجال للتفاعل والعيش المشترك إلى مجال للحماية الذاتية.

ويعزز هذا التحليل ما ذهب إليه المنصف وناس في كتابه (الشخصية الليبية)، إذ يرى أن البداوة التي فُرضت على امتداد أكثر من ثلاثة عقود لم تكن مجرد نمط ثقافي، بل مثلت أيضاً آلية للهيمنة وممارسة الغلبة، سواء على مستوى الأفراد أو العائلات أو القبائل، فالبداوة المفروضة اقترنت في الواقع بمعاني السطوة والامتلاك، وقد أعاد الريع النفطي إنتاج هذه البنية من خلال ترسيخ الزبونية والولاءات الشخصية، وإبرام المقايضات السياسية والاجتماعية، مما جعل الانتماء القبلي يتغلب على الانتماء الوطني، فالمواقع في جهاز الدولة لم تكن تعبر دائما عن كفاءة مؤسسية وحسب، بقدر ما كانت تجسد امتداداً لمرجعيات محلية وجهوية (المنصف والناس، 2014)، وبهذا المعنى يمكن القول بأن الفضاء الليبي ما قبل (2011) كان تماسك رمزي مركزي يخفى في داخله توازنات غلبة بين القبائل والفئات، وأن انهيار الدولة المركزية لم يحدث الانقسام بل كشف عن بنيه الغلبة والزبونية المتجذرة التي أعادت إنتاج نفسها في فضاءات محلية متنازعة ومتلاصقة، ومن ثم يصبح طرح (المنصف وناس) دالاً على أن أزمة الفضاء الليبي ليست سياسية فحسب، بل هي أزمة دلالية وبنيوية تمس نمط العلاقة بين السلطة والمعنى، وبين القبيلة والدولة، أي بين الرمز والولاء.

وبهذا يمكن القول إن الفضاء لم يعد ينتج عبر منظومة دلالية جامعة، بل عبر تعدد أنساق رمزية متنازعة، وهو ما يجعل الفضاء نفسه موضع الأزمة لا مجرد انعكاس لها، وبذلك تحولت الرموز الوطنية إلى رموز مجزأة وفقدت القبيلة والمدينة دلالاتها المشتركة القديمة، وأصبحت الجغرافيا تعبيرًا عن انقسام في الذاكرة والمعنى، وهذا التفكك الدلالي هو ما

جعل من الفضاء الليبي فضاء تلاصقياً هشاً قائما على تشابك المصالح أكثر من تشارك المعاني، في ظل غياب مشروع رمزي قادر على إعادة توحيد المعنى الجمعي.

5- نحو إعادة تأويل الفضاء الليبي كنسق دلالي مشترك:

انطلاقاً من رؤية لوفيفر، فإن تجاوز الأزمة لا يتحقق بالعودة إلى أشكال السلطة أو الهيمنة القسرية القديمة، بل عبر إنتاج الفضاء كمعنى مشترك، أي عبر توليد رموز جديدة تعيد وصل الفضاء الاجتماعي والدلالي ببعضه، وتؤسس لنمط جديد من التماسك العضوي يعاد فيه بناء العلاقة بين التماسك كقيمة حماية والتلاصق كقيمة تواصل ولعل ذلك يتطلب:

1- تحويل الفضاء من مجال صراع إلى مجال معنى أي من ساحة للهيمنة الى ساحة للفهم والتفاعل الرمزي.

2- إعادة قراءة الموروثات الرمزية المحلية (القبيلة المدينة، الجوار، الأقاليم) كحوامل ووسائط لمعنى مشترك لا كحدود فاصلة.

3- إعادة تأهيل الذاكرة الجماعية عبر تأويل مشترك للفضاء الوطني، يسمح بإعادة بناء المعنى الجمعي على أسس اجتماعية وثقافية أصيلة.

وبهذا يصبح الفضاء الليبي من جديد فضاءً منتجاً للتماسك العضوي والتلاصق التواصلي، دون أن يتحول التعدد في المعاني إلى انقسام وتشظي الفضاء الاجتماعي والدلالي

سابعا–نتائج الدراسة:

تظهر نتائج الدراسة أن الفضاء الاجتماعي الليبي لا يمكن فهمه بوصفه معطى جغرافي أو سياسي محايد، بل باعتباره بناءً اجتماعياً دلالياً، تشكل تاريخيا عبر علاقة جدلية غير متوازنة بين قوى التماسك وقوى التلاصق، فقد بين التحليل أن التماسك رغم دوره التاريخي في حماية الجماعة وضمان بقائها في سياقات المقاومة والتحولات الخارجية، تحول مع الزمن إلى آلية لإعادة إنتاج الانغلاق الاجتماعي، حيث ظل يعمل داخل أُطر قبلية ومحلية مغلقة، معيقاً تشكل فضاء وطني أو مدني قادر على احتضان التعدد وتحويله إلى معنى مشترك.

وتكشف الدراسة أن هذا الخلل لا يعبر عن أزمة سياسية أو مؤسساتية فحسب، بل عن أزمة أعمق في إنتاج المعنى داخل الفضاء الاجتماعي الليبي، فالتاريخ الليبي الحديث الممتد من مرحلة المقاومة إلى بناء الدولة الحديثة، ثم إلى زمن التحولات المعاصرة يظهر عجزاً بنيوياً عن تحويل طاقة التماسك المحلي إلى طاقة اندماج وتكامل، قادرة على إنتاج فضاء معيشي مشترك، وفق ما تقتضيه المقاربة اللوفيفرية لإنتاج الفضاء.

وفي المقابل تبرز النتائج أن التلاصق بوصفه قوة اندماج وتواصل بين مكونات متمايزة، ظل تاريخياً قوة كامنة لم تتحقق شروطها الاجتماعية والثقافية سواء من خلال مراحل بناء الدولة الحديثة، أو في ظل السياسات المركزية التي أعادت إنتاج التماسك القسري على حساب التفاعل الحر للمعاني، وقد حافظ هذا النمط من التماسك الرمزي الفوقي على وحدة الشكل الوطني، لكنه أخفى تحت سطحه تعددية غير مدمجة في المعاني والفضاءات، ما جعل الفضاء الوطني هشا، وقابلا للتفكك عند انهيار البنية المركزية للدولة.

تبين الدراسة في هذا السياق أن مرحلة ما بعد (2011)، لم تنتج الانقسام بقدر ما كشفت عن البنى الرمزية والاجتماعية التي كانت كامنة داخل الفضاء الليبي، فقد تحول المجال من فضاء موحد رمزياً إلى فسيفساء من الفضاءات

الجزئية المتلاصقة، التي تتجاور دون أن تتكامل، وتعاد فيها إنتاج الهويات والمعاني محلياً وجهويا، بما جعل التلاصق قائما على المصالح المؤقتة والخوف أكثر من تشارك المعنى والذاكرة.

وتظهر النتائج أن التجربة الليبية ليست خالية تاريخياً من لحظات إنتاج المعنى الجامع، فقد مثلت الحركة الصوفية في مراحل تاريخية سابقة نموذجاً بديلاً لإنتاج الفضاء الاجتماعي خارج منطق الدولة، حيث نجحت في تأسيس تماسك وتلاصق رمزيين بالارتكاز على المرجعية المالكية (المذهب المالكي)، والانتماء الاجتماعي الشريف، بما أتاح تحويل التعدد الاجتماعي إلى وحدة دلالية غير قسرية، ويكشف هذا المعطى أن أزمة الفضاء الليبي الراهنة ليست حتمية بنيوية، بل مرتبطة بتفكك أنماط تاريخية كانت قادرة على إنتاج معنى مشترك.

وعليه تخلص الدراسة إلى أن الفضاء الليبي في وضعه الراهن يعيش أزمة دلالية وبنيوية، تتمثل في غياب فضاء معيشي مشترك، وفي عجز المجتمع عن إعادة إنتاج الفضاء بوصفه ممارسة اجتماعية رمزية جامعة ،كما تؤكد على أن تجاوز هذه الأزمة لا يتحقق عبر إعادة فرض التماسك القسري، أو استعادة أنماط الهيمنة الرمزية القديمة، بل عبر إعادة تأويل الفضاء الليبي كنسق دلالي مشترك، يقوم على توليد رموز جامعة قادرة على وصل التماسك بوصفه قيمة حماية، وبالتلاصق بوصفه قيمة تواصل، بما يسمح بتأسيس تماسك عضوي يستوعب التعدد دون أن يحوله إلى انقسام أو تشظي في الفضاء الاجتماعي والدلالي.

ثامناً–توصيات الدراسة:

توصي الدراسة بضرورة الانتقال في مقاربة الأزمة الليبية من التركيز الحصري على الأبعاد السياسية والمؤسساتية إلى تبني منظور سوسيوتاريخي–تأويلي، ينظر إلى الأزمة بوصفها نتاجاً لتراكمات تاريخية وبنى اجتماعية ودلالية متداخلة، وينتج فهم آليات إنتاج الفضاء المشترك، وأنماط تماسكه وتفككه خارج المقاربات الاختزالية السائدة، فإعادة بناء الدولة تظل قاصرة ما لم تُرفق بإعادة إنتاج الفضاء الاجتماعي كمعنى مشترك قادر على احتضان التعدد وتحويله الى تماسك عضوي.

كما توصي الدراسة بإعادة تأويل الموروثات الرمزية المحلية وعلى رأسها القبيلة والمدنية والجوار والاقليم لا باعتبارها عوائق بنيوية أمام الاندماج الوطني، بل بوصفها وسائط اجتماعية وثقافية يمكن توظيفها لإنتاج معنى جامع، شريطة فك ارتباطها بمنطق الانغلاق والعصبية، وادماجها ضمن أفق تواصلي أوسع، يسمح بتحويل التماسك من قيمة حماية مغلقة إلى طاقة اندماج مفتوحة.

وتدعو الدراسة إلى استلهام التجربة التاريخية للحركة الصوفية في ليبيا، لا بوصفها نموذجاً دينياً قابلاً للاستنساخ، بل كخبرة رمزية في إنتاج التماسك والتلاصق خارج منطق الدولة القسرية، بما يبرز أهمية المرجعيات الثقافية والدينية المشتركة في بناء فضاء معيشي جامع، وفي هذا السياق يمكن إعادة الاعتبار للزوايا والفضاءات الدينية الشعبية بوصفها مجالات للتواصل الرمزي، وإنتاج الثقة الاجتماعية بعيداً عن توظيفها السياسي أو الأيديولوجي.

كما توصي الدراسة بضرورة إعادة بناء المجال العام الليبي على أسس تشاركية تسمح بتعدد الأصوات والتمثلات، وتعيد الاعتبار للتفاعل الأفقي بين الفاعلين الاجتماعيين، بدل الاكتفاء بإنتاج رموز مركزية فوقية، ويتطلب ذلك تعزيز الفضاءات الوسيطة كالمجتمع المدني والمؤسسات الثقافية والمنتديات المحلية، بوصفها مواقع لإنتاج المعنى والتفاوض الرمزي حول الهوية والانتماء.

وتؤكد الدراسة على أهمية العمل على إعادة تأهيل الذاكرة الجماعية الليبية من خلال مقاربات تأويلية مشتركة للتاريخ الوطني، تسمح بتجاوز السرديات الجزئية والمتنافسة دون الغائها، فإنتاج معنى وطني جامع لا يتحقق عبر محو الاختلاف، بل عبر إدماجه ضمن سردية مفتوحة، تعترف بتعدد التجارب والمسارات داخل الفضاء الوطني.

وتوصي الدراسة على المستوى المنهجي بتوسيع استخدام المقاربات التأويلية والمجالية في دراسة الفضاء الاجتماعي الليبي، لما توفره من أدوات لفهم العلاقة بين السلطة والمعنى والفضاء، ولتجاوز الاختزال السياسي لتفسير الأزمة المركبة. وأخيرا توصي الدراسة بأن توجه سياسات إعادة الإعمار والمصالحة الوطنية في ليبيا نحو إنتاج الفضاء، بوصفه مجالا للعيش المشترك، لا مجرد إعادة بناء مادية للمكان، فإعادة إعمار المدن والقرى، دون إعادة بناء معاني الانتماء والذاكرة والعلاقات الرمزية يعيد انتاج فضاءات متلاصقة هشة، بدل فضاءات قادرة على الاستمرار وتجاوز النزاعات.

9- الخاتمة

تبين هذه الدراسة أن الأزمة الليبية ليست حدث سياسي أو اضطراب مؤسسي، وإنما هي أزمة في إنتاج الفضاء الاجتماعي والدلالي، أي في الكيفية التي يُعاد بها بناء المعاني والرموز التي تنظم الوجود الجماعي للمجتمع الليبي، فقد أظهرت الدراسة أن الفضاء الليبي لا يمكن فهمه باعتباره مجرد مجال جغرافي أو حيز مادي، بل هو نص اجتماعي دلالي تتجسد فيه ديناميات السلطة والمعنى والانتماء، ويتجلى من خلاله مدى التوازن أو الاختلال في العلاقات الاجتماعية، وقد بينت المقاربة التحليلية التأويلية إن المجتمع الليبي يعيش منذ عقود حالة من التأرجح بين التماسك والتلاصق، مما يعكس انكسار الدلالة المشتركة للفضاء، إذ لم يعد هناك معنى جامع يؤطر المجال الاجتماعي، فصار الفضاء نفسه ساحة لتنازع المعاني بدل أن يكون حاضناً لها.

إن التوازن بين التماسك والتلاصق هو جوهر إمكان الاجتماع الوطني المشترك في الفضاء الليبي، فحيث يسود التماسك دون تلاصق يتحول المجتمع إلى وحدات مغلقة متجاورة، وحين ينمو التلاصق دون تماسك، يفقد المجتمع جذوره وهويته، وإن هذه الجدلية المعقدة هي شروط لإمكان الاجتماع الوطني، وأن انقطاع السردية المشتركة التي تعطي المجتمع وحدته الرمزية، هي جوهر الأزمة الليبية، فالفضاء الليبي لا يستعاد من خلال السلطة وحدها بل من خلال المعنى أيضا.

المراجع:

أولاً: الكتب:

1. أبو صوة. م. (2012). *جدلية المجال والهوية: مدخل لتاريخ ليبيا العام*، دار الرواد.
2. النفاتي. ع. (2015). *المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب: حفريات من كتب الرحلة –القرن 16، في الهوية والتدين*. والثقافة. أفريقيا الشرق.
3. وناس، ا، (2014). *الشخصية الليبية: ثالوث القبيلة. والغنيمة والغلبة*، الدار المتوسطية للنشر.

ثانياً: الدوريات:

1. بوطاهرى. ج، (2020). الفضاء العام: سيرورة تشكيل المفهوم، *مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية*، العدد 29،67. 29.
2. الرفاعي. س. (2016). التنظيم الاجتماعي القبلي والانتاج الادبي للمرأة البدوية دراسة أنثر وسوسيولوجية للأهازيج الليبية، *المجلة العربية للعلوم الاجتماعية*، العدد التاسع. الجزء 3.

3. سرير. أ. (2019). هنري لوفيفر: من الحق في المدينة إلى هرمينوطيقا المدينة. *مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ*، مجلد 15. العدد 2.
4. العرباوي، ل. (2017م). الفضاء الاجتماعي والذاكرة الجماعية: قراءة في التعالقات الممكنة والمحتملة، *مجلة تاريخ العلوم*. العدد 7.
5. غميض. ا. (2011). الصوفية بأفق لبدة خلال القرن العاشر الهجري، *مجلة كلية الآداب*. العدد 19.
6. غميض. ا. (2025). إعادة بناء المنهجية التاريخية في قراءة النصوص: دراسة تطبيقية، *المجلة الشاملة للدراسات الإنسانية والتربوية*. العدد 2. المجلد الأول.
7. غميض. ا. (2025)، المنهج السيميائي وتحليل النصوص التاريخية، *مجلة العلوم الإنسانية*. العدد 31.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

1. الرفاعي. س. (2007). *معوقات المشاركة السياسية للمرآة الليبية*، [رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب].

رابعاً: المراجع الأجنبية:

1. Frémont A (1976). La région, espace Vécue. Paris: Presses Universitaires de France.
2. Lefebvre, H. (1991) the production of space, trans. Donald Nicholson- Smith, Oxford: Blackwell.